سمير فى باريس

— ٤ —

أخى علىّ :

حدّثتك فى مرّة سابقة عن بعض متاجف باريس ، وأريد أن أحدّثك فى هذه المرّة عن بعض المتاجر الكبيرة فيها . تلك المتاجر التى لا أبالغ إذا قلت إنها أقرب إلى أن تكون متاحف للفنّ والجمال منْ أن تكون محالاً للبيع والشراء . إنك تستطيع بسهولة ومن غير ملل أن تقضى يومًا — بل يومين — فى زيارة أحد هذه المتاجر العظيمة . إنها أبنية هائلة جدًّا ذات طبقات متعدّدة وأقسام لا حصر لها ، فُرشت أرضها بالبُسُط الجميلة والطنافس الثمينة . وإنك لتستطيع أن تبتاع من مكان واحد أثاث المنزل بكلّ أنواعه وأنماطه ، والملابس من كلّ لون ونوع وطراز ، وسيارات الركوب وآلات كهربائية وأدوات ميكانيكية من أىّ نوع شئت . وتستطيع فوق ذلك أن تتناول الغذاء فى ناحية من المتجر هى فى ذاتها مطعم فاخر أنيق . وأن تتناول الشاى والقهوة والمرطّبات فى ناحية أخرى وأن تبتاع ما تشاء من اللحم والخبز والفاكهة والخضر وأن تستبدل النقود وتصرف التحاويل فى المصرف الملحق (البنك)، وأن ترسل البرقيات والرسائل البريدية من مكتب البرق أو مكتب البريد الموجودين فى داخل المتجر ، وأن يقصّ شعرك وتتزيّن ، وأن تستعرض أحدث الأزياء فى قاعة فخمة واسعة الأرجاء . وخلاصة القول أنك لا تستطيع أن تفكّر فى شىء لا يمكن قضاؤه من ذلك المكان مهما كان هذا الشىء كبيرًا غالى

إحدى واجهات محلات « سامارتين » بباريس

الثَّمَنِ ، أَوْ تَافِهًا رَخِيصَ الْقِيمَةِ .

وَالمدْهِشُ أَنَّ فِي هٰذِهِ المَتَاجِرِ سِحْرًا يَجْذِبُكَ إِلَيْهَا ، فَقَدْ تَدْخُلُهَا مَرَّةً وَلَيْسَتْ بِكَ حَاجَةٌ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا فِيهَا ، فَإِذَا بِكَ تَخْرُجُ مُحَمَّلاً ، وَتَوَدُّ لَوِ اسْتَطَعْتَ المَزِيدَ . وَلاَ يَسْتَطِيعُ زَائِرُ بَارِيسَ أَنْ يُغَادِرَهَا مِنْ دُونِ أَنْ يَبْتَاعَ بَعْضًا مِنْ سِلَعِ سَامَارِيتِين وَالْجَالاَرِي لاَ فَايِتْ وَالْبُونْ مَارْشِيه .

* * *

وَكَانَ شُعُورًا غَرِيبًا وَجَمِيلا يَوْمَ ذَهَبْنَا لِزِيَارَةِ « مَسْجِدِ بَارِيسَ » . إِنَّهُ مَسْجِدٌ عَرَبِيٌّ إِسْلاَمِيٌّ بِكُلِّ مَا فِي الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْنًى ، يُؤَذِّنُ فِيهِ المُؤَذِّنُ ،

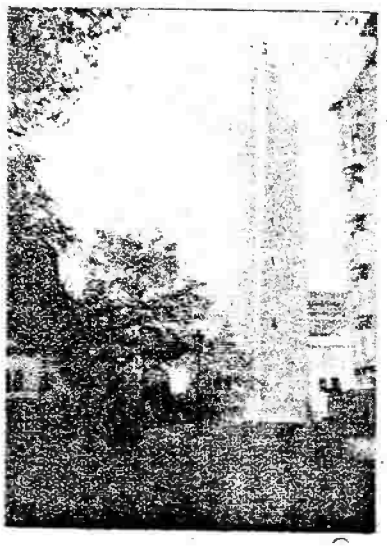

مئذنة مسجد باريس

وَتُقَامُ فِيهِ الصَّلاَةُ ، وَيَأْتَمُّ المُصَلُّونَ بِإِمَامِهِ .

وَقَدْ أُوقِفَ عَلَى هٰذَا الْجَامِعِ مَقْهًى مَشْرِقِيٌّ بَدِيعٌ فُرِشَ بِأَفْخَرِ الأَثَاثِ ، وَأُسْدِلَتْ عَلَى نَوَافِذِهِ السَّتَائِرُ الْحَرِيرِيَّةُ النَّفِيسَةُ . هٰذَا المَقْهَى يَؤُمُّهُ الشَّرْقِيُّونَ مِنْ جَمِيعِ الْجِنْسِيَّاتِ وَالطَّبَقَاتِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ السَّائِحِينَ الأَجَانِبِ أَيْضًا . يَجْلِسُ هٰؤُلاَءِ وَهٰؤُلاَءِ عَلَى الأَرَائِكِ يَشْرَبُونَ الْقَهْوَةَ الشَّرْقِيَّةَ المُعَطَّرَةَ ، وَيَأْكُلُونَ أَنْوَاعَ الْحَلْوَى الشَّرْقِيَّةِ اللَّذِيذَةِ ، وَأَلْوَانَ الأَطْعِمَةِ المِصْرِيَّةِ الشَّهِيَّةِ الَّتِي لاَ تَعْرِفُهَا مَطَاعِمُ بَارِيسَ . تَصَوَّرْ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ هُنَا أَنْ تَأْكُلَ أُرْزًّا (مفلفلا) وَمُلُوخِيَّةً خَضْرَاءَ عَلَى نَغَمَاتِ الْعُودِ وَالْقَانُونِ وَالْكَمَانِ وَالدُّفِّ (الطار) ! !

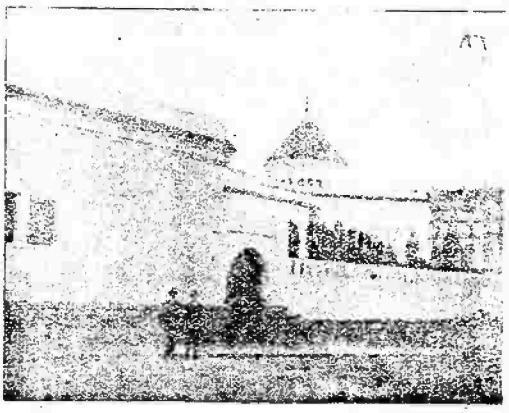

مسجد باريس

وَهٰذَا المَقْهَى مُلْحَقٌ بِهِ مَخْزَنٌ لِلْبَضَائِعِ الشَّرْقِيَّةِ ، يَجِدُ السَّائِحُ الْعَرَبِيُّ لَذَّةً عَظِيمَةً فِي أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ بَعْضَ التُّحَفِ وَالرِّيَاشِ وَالأَطْعِمَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ فِي الإِمْكَانِ الْحُصُولَ عَلَيْهَا فِي غَيْرِ مِصْرَ أَوِ الشَّامِ أَوْ بِلاَدِ فَارِسَ .

* * *

وَلاَبُدَّ لِي قَبْلَ أَنْ أَخْتِمَ حَدِيثِي عَنْ بَارِيسَ مِنْ

أن أذكر لك شيئًا عن «غابة بولونيا» تلك التي كنت أظنها أول الأمر غابة كثيفة على صورة طبيعية غير مهذبة، فإذا بها متنزه هو خير المتنزهات وأكبرها. ولقد ذكرتني بمتنزه «هايدبارك» في لندن إلا أن هذه أكبر كثيرًا، ولا يحيط بها سور كما يحيط «بهايدبارك»، ويؤمها الناس على اختلاف طبقاتهم للنزهة، فيسيرون أفرادًا وجماعات في طرقاتها الجميلة المعبدة أو يجولون فيها في سياراتهم أو يتسلون برياضة التجديف في بحيرتها الواسعة الجميلة، إلا أني لم أر فيها قومًا يخطبون ويتجادلون على النحو الذي رأيته في «هايدبارك».

غابة بولونيا

* * *

سنغادر باريس بعد يومين، وكم أود لو أستطيع البقاء بها شهرًا آخر، وكم أود أكثر من ذلك، لو تسمح لك الأيام بزيارة مدينة النور باريس. التي قال فيها المغفور له أمير الشعراء أحمد شوقي بك:

«العصر أنت
جماله وجلاله،
والركن من
بنيانه المسموك.»

وإلى اللقاء
في مصر؟
أخوك
سمير

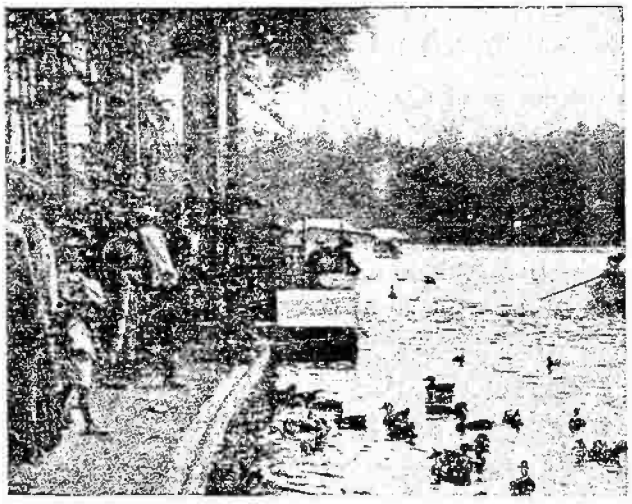

بحيرة غابة بولونيا